



مع دخول المواجهات ضد تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا والعراق مراحلها النهائية، يبرز سؤال يتعدد هذه الأيام: ماذا بعد؟ أي ماذا بعد دحر التنظيم الذي شغلت حربه العالم خلال السنوات الثلاث الماضية، وخلفت المشرق العربي دمارا. في العراق، تحضر الإجاهة بصورة أسهل منها في سوريا، إذ يرجح أن تمثل الانتخابات العامة المقبلة محطة لإنعاش العملية السياسية، وخلط التحالفات الحزبية، وإعادة تشكيل المشهد السياسي العراقي، مع احتمال، ولو ما زال ضعيفاً، لبروز قيادة عراقية بأجندة وطنية، تعيد بناء البلد، وتستفيد من أخطاء الماضي. لن تكون الأمور سهلة طبعاً مع وجود مليشيات الحشد الشعبي، وقوى سياسية عراقية أخرى تتبارى في إعلان ولائها لإيران وارتباطها بها. كما أن عودة التنافس الأميركي- الإيراني في العراق لن تكون عاملأً مساعداً، وخصوصاً أن الأميركيين جاؤوا هذه المرة ليبقوا، على ما يبدو. مع ذلك، هناك حد أدنى من الاتفاق بين الإيرانيين والأميركيين، أقله حول دعم الحكم العراقي القائم، وضمان استمراره، وقد تبدى هذا واضحاً خلال أزمة استفتاء كردستان، والمواجهات بين الحكومة المركزية وإقليم شمال العراق حول كركوك والمناطق المتنازع عليها، حيث وجدت الولايات المتحدة نفسها في وضع العاجز عن الاختيار بين أحد حلفائها في بغداد أو أربيل، على الرغم من أن يد إيران كانت واضحة في الضربة التي تلقاها مسعود البارزاني، حليف واشنطن الكردي الأبرز.

على العكس من ذلك، يبدو المشهد السياسي والميداني وال العلاقات الدولية للصراع السوري أكثر تعقيداً بمراحل، فعدد القوىإقليمية والدولية التي تتنافس على الأرض السورية أكبر بكثير مما هو في العراق، حيث يكاد يكون التنافس محصوراً بين إيران والولايات المتحدة. وبعكس العراق أيضاً، هناك حرب وكالة تدور في سوريا، ينتظم أطرافها في معاركين دوليين -

إقليميين كبارين. تقود الأول واشنطن، ويضم في عضويته دولاً خليجية عربية، وتحاول إسرائيل أن تجد فيه مكاناً. والثاني تقوده روسيا ويضم إيران، وقد اقتربت منه تركيا أخيراً، لتقاطع جزء من مصالحها معه، في حين تضع مصر قدماً هنا وقدماً هناك.

ميدانياً، طرأت خلال العام الماضي تحولات كبيرة على موازين القوى في سوريا، إذ جرى إضعاف تنظيم الدولة الإسلامية الذي بسط، في إحدى المراحل، سيطرته على نصف مساحة البلاد، إلى حد القضاء عليه تقريباً كقوة عسكرية، كما جرى إضعاف المعارضة، وتبنيتها في جيوب معزولة بموجب اتفاقات خفض التصعيد، تمهدأ لتطويعها في إطار عملية سياسية، تقودها روسيا في أستانة، في حين صعدت قوتان رئستان، هما النظام والأكراد، يقتسمان اليوم السيطرة على أكثر الجغرافيا السورية، ويشكل نهر الفرات الحاجز الطبيعي بينهما، مع خروق بسيطة على الطرفين، إذ يحتفظ النظام بوجود صغير في مركز محافظة الحسكة، في حين يحتفظ الـكـرد بجيبيـن معـزـولـيـن خـارـجـ الجـزـيرـةـ السـورـيـةـ (منـجـ وـعـفـرـيـنـ).

ويسـطـرـ الأـكـرـادـ الـيـوـمـ بـدـعـمـ أـمـيرـكـيـ عـلـىـ ثـلـثـ مـسـاحـةـ سـورـيـةـ (الـحـسـكـةـ وـالـرـقـةـ وـدـيـرـ الزـورـ)ـ الـتـيـ تـضـمـ أـكـثـرـ ثـرـوـاتـ الـبـلـادـ منـ النـفـطـ وـالـغـازـ وـالـمـيـاهـ وـالـأـرـاضـيـ الزـرـاعـيـةـ الـخـصـيـةـ،ـ كـمـ يـسـيـطـرـونـ عـلـىـ أـهـمـ السـدـودـ الـمـائـيـةـ فـيـهـاـ (سـورـيـةـ الـمـفـيـدـةـ فـعـلـيـاـ)،ـ وـالـتـيـ لـاـ يـمـكـنـ لـجـزـئـهـاـ الـآـخـرـ الـذـيـ يـضـمـ أـكـثـرـيـةـ السـكـانـ أـنـ يـقـومـ مـنـ دـوـنـهـاـ.ـ وـإـذـاـ لـاحـظـنـاـ أـنـ رـوـسـيـاـ بـاتـتـ تـعـتـبـرـ أـكـرـادـ سـورـيـةـ بـمـثـابـةـ أـدـوـاتـ نـفـوذـ أـمـيرـكـيـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ،ـ وـأـنـ إـيـرانـ بـاتـتـ تـرـىـ فـيـهـمـ عـقـبـةـ عـلـىـ طـرـيقـ وـصـلـ مـنـاطـقـ نـفـوذـهـاـ فـيـ الـعـرـاقـ وـسـورـيـةـ،ـ إـضـافـةـ إـلـىـ تـرـكـياـ الـتـيـ لـاـ يـحـتـاجـ مـوـقـفـهـاـ إـلـىـ تـفـصـيلـ،ـ نـجـدـ أـنـ كـلـ الـأـسـبـابـ تـدـفعـ نـحـوـ صـرـاعـ كـبـيرـ عـلـىـ مـنـاطـقـ شـرـقـ الـفـرـاتـ.ـ وـتـبـدوـ تـقـسـيمـاتـ الـمـعـرـكـةـ هـنـاـ أـكـثـرـ وـضـوـحاـ مـنـ مـرـاـحـلـ الـصـرـاعـ السـابـقـةـ،ـ حـيـثـ سـيـحاـوـلـ النـظـامـ شـدـ الـعـصـبـ الـعـرـبـيـ إـلـيـهـ،ـ باـعـتـبـارـ أـنـهـ يـواـجـهـ الـطـمـوـحـاتـ الـكـرـدـيـةـ الـاـنـفـصـالـيـةـ الـمـدعـومـةـ أـمـيرـكـيـاـ وـإـسـرـائـيـلـيـاـ،ـ وـالـتـيـ تـسـتـهـدـفـ وـحدـةـ الـبـلـدـ وـثـرـوـاتـهـاـ،ـ لـتـبـدـأـ بـذـلـكـ الـمـرـحـلـةـ الـثـالـثـةـ مـنـ الـصـرـاعـ السـورـيـ،ـ عـلـىـ خـلـفـيـةـ قـوـمـيـةـ -ـ إـنـثـيـةـ،ـ هـذـهـ الـمـرـةـ،ـ بـعـدـ أـنـ بـدـأـتـ ثـورـةـ شـعـبـيـةـ ضـدـ نـظـامـ فـاسـدـ،ـ وـمـسـتـبـدـ (ـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـ الـإـعـلـامـ الـغـرـبـيـ قـدـمـهـاـ عـلـىـ صـورـةـ صـرـاعـ طـائـفيـ)،ـ ثـمـ تـحـولـتـ إـلـىـ حـرـبـ ضـدـ الـإـرـهـابـ وـالـتـلـفـ الـذـيـ مـثـلـهـ تـنـظـيمـ الـدـوـلـةـ الـإـسـلـامـيـةـ،ـ وـهـاـ نـحـنـ نـدـخـلـ مـرـحـلـةـ الـحـرـبـ عـلـىـ أـسـسـ قـوـمـيـةـ،ـ نـرـجـوـ أـنـ تـكـوـنـ الـأـخـيـرـةـ!

المصادر: